قصة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد

أحببت وصيته بعض منونه فيه شرابت وبقيت من هذه القصة ما ذكره الجرولي في مناقب أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الملك الكلبي قال حدثت عند الثقات أنه خرج عام الخندق إلى الجهاد في زمن عبد الرحمن الناصر للأندلس وكانوا أن يعمل العدو وأسروا عشرون العدو أعمال لكسر المسلمين وتفرق الناجون إلى غير جهة قال فكنت ممن نهل وأوى إليه بالليل ممشيت ذات ليلة فإذا بعسكر نازل وخيوله من بين صف وبين أن موقودة وقراء يقرؤون فقلت الحمد لله هذا عسكر المسلمين فقصدتهم وإذا أنا بشاب وقد سلم ثوبه وهو يقرأ سورة كنت إلى أن سلمت عليه ورد علي السلام فقال لي يا هذا أنت من الناجين فقلت نعم فقال اجلس فتشرع وأعطاني عنقود عنب في غير أوانه ورغيفين من خبز وكوزا من ماء ما أكلت ولا شربت ألذ منهما فقال لي لعلك تشتهي النوم فقلت نعم فرقدت على فخذه فغلبني النوم حتى ضربت الشمس فلم أجد في الوادي أحدا وإذا أنا راسي على عظم نخرة ذراع فعلمت أنهم الشهداء فمشيت ذلك النهار فلما جن الليل إذا أنا بعسكر نجوز على ويسلمون علي وهم يذكرون الله وإذا في آخر القوم رجل على فرس أغر فإذا هو صاحبي فسلم علي فقلت يا أخي من هؤلاء قال هم الشهداء مضوا إلى زيارة أهلهم فقلت ما دار في سجعهم فقال لي تقضي علي من ثمنه دينارا فقلت والله لئن جئت إلى بلاد الإسلام لأقضينها عنك وأن تعلو العرس حتى نحو بالقوم ثم رجع إلى وأرونى ولما أصبح خرج البريد وصلنا إلى مدينة سالم وبيننا وبين الموضع الذي حملني منه مسيرة عشرة أيام فقال إذا دخلت هذه المدينة فاذهب بها واسأل عن دار محمد بن يحيى وادع زوجتي واسمها فاطمة بنت سالم وسلم عليها وقل لها في الطاق حرة فيها خمس مائة دينار ادفعي منها دينارا وبقيتها من مهر العرس لفلان ابن فلان ففعلت ما أمرني به واستخرجت المرأة الحرة وأعطتني طعاما وأعطتني عشرة دنانير وقال لتستعين بها على فرسك ذكر هذه الحكاية في ديباجة شرح الرسالة قال المؤلف عفا الله عنه وقد سمعت من غير واحد أن المجاورين لمواضع الشهداء من مغرب المغرب حاج كثير من أوقات يرهبون ويحسون بهم ويكثرون وحدا وأنهم يشاهدونهم بأعينهم غير مرة ليلا ونهارا

حكاية الإسكندرية

وقد كنت توجهت إلى الإسكندرية في سنة أحد وثمانين مع أبي محمد بن عاصم بشيد محرج معي بعض أعيان أهلها محمد بن بيان من عن يميني بعرف بابن أبي الريد وكان قد حضر فيه معتركا بين المسلمين والفرنج قبل ذلك وأستشهد به جماعة من محلي وبعضهم يصرف بعضا عن رجل من أهل رشيد أثنوا عليه خيرا أنه من ليلة بهذا الساحل فوجد به عسكرا وخيلا وأن رافعها أنه البرجلات من القاهرة

ومن ها هنا جاء من حارسهم أو قال بخروج رجل من العسكر فأخذ بيده وأدخله بينهم فسأل إلى أين تتوجه فأخبرهم أنه متوجه إلى القاهرة فقال له بعضهم أخبرني هل معك كتاب إلى أهلي فأوصله إليهم وكتب الكتاب ودفعه إليه وعرفه أمارة بينه وبين أهله قال فلما وصلت إلى القاهرة سألت عن البيت فأرشدت إليه فلما رأيت قالوا لي ما حاجتك فقلت معي كتاب من فلان فقال لي أنت مجنون إن فلانا قتل يوم وقعة كذا منذ سنين فلما ذكرت لهم الأمارة عرفوا صدقي ودفعت إليهم الكتاب فتعجبوا من ذلك غاية التعجب أو كما حكوا قال المؤلف عفا الله عنه وهذه الحكاية مشهورة عند أهل رشيد يزيد فيها وينقصون وقد اتفقت في زماننا هذا والله أعلم وحكى أبو الربيع العارف عبد الله البلالي وهي حمد الله في كتابه روض الرياحين عن محمود الوراق قال كان رجل أسود يعمل في المباح وكنا نقول له دار لي روح ناميارك فيقول أسأل الله الشهادة وجئني من الحور العين قال فغزونا فلقينا العدو علينا وقتل مبارك فمررنا به وقد أسد في ناحية وبدنه في ناحية وهو منكب على بطنه ويداه تحت صدره فوقفنا عليه وقلنا له يا مبارك كم زوجك الله من الحور العين فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول ثلاثا رضي الله عنه وقال صاحب كتاب سوق العروس وأنس النفوس قال سعيد العجمي حدثنا بعض غزوات البحر وكان معنا شاب من أحسن الناس عبادة فلما اشتد القتال جعل يقاتل فلم يلبث أن قتل حتى ضربت عنقه ووقع رأسه على الماء واستقبل الرأس وجعل يتلو هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وخرج ابن عساكر بإسناده عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال بينا رجل له بالشام وقال أبو سعيد الجندي ومعه رجل وقد كان لهما ابن استشهد قبل ذلك في سبيل الله أي في الرجال فأرسل رسولا وقال لهما إنه قد قتل وأنا حيا فقالت لهما من عند الشهيد فقالت استشهد من حبي وأنت مفتون فقال أما فيك علي عملك واستغفر الله قال ثم نظر فرأى الفارس فقال إن ابني والله يا فلان وذهبت فقالت هو والله فوقف عليهما فقال لهما أتشهد فقد استشهدت يا بني قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي في هذه الساعة في هذا اليوم واستأذن الشهداء ربهم في شهوده فكنت فيهم واستأذنته في السلام عليكما قال ثم دعى لهما وانصرف وقال جاءت نعي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك الساعة ومن كان ذلك اليوم

أخرى

غيرها